

باريس

يوم الخميس في ٧ جمادي الثانية سنة ١٣٠١ و ٣ افريل سنة ١٨٨٤

اشد ما كانت هيئة الانكليز وملكتها على قلوب الشرقيين قبل
تكتيب الكتائب وعقد الالوية وسوق العساكر لمقاتلة عثمان دجه على
اميال من سواحل البحر الاحمر وكان يخيل للسودانيين بل يلابس
اعتقادهم ان القرة الانكليزية مما فوق الطبيعة وعن مثلها تصدر خوارق
العادات وكان من ظنون الشرقيين في اقطار اخر ان غرائب القدرة
البريطانية بلغت مبالغ السحر تدهش الالباب وتحير العقول واذا خلج
في صدور امة من الامم صغيرة او كبيرة لبعدها عن مركزها ان تغالبها
على حق او تناوئها في مرغوب انشقت الارض وانفطرت السماء عن
كلمة من الانكليز يصبون عليها اسواط العذاب ويذيقونها اليم الوبال
ويخلبون الارواح من الاجساد فيغلبون ولا يغلبون خصوصاً ان كان
مغالبوهم لا يحملون من السلاح إلا نوعاً من الصنع القديم مما كان يستعمله
ابناء نوح بعضهم في مدافعة بعض

إلا ان هذه الدولة العظيمة الجأتها حوادث السودان ان تسوق
جيشاً للايقاع ببعض العرب في نواحي سواكن فتحركت الجيوش
المنظمة لملاقاة عثمان ورجاله وبني القواد في الزحف قلاعاً « مربعات »

من المساكر الباسلة مدرعة بلوأم من حراب البنادق « السنج »
 مسيجة بالالات الجديدة من صنع رمتون وهنري مارتين على اجود
 طرز يكون منه وحصنوها بابرّاج من المدافع لاندانيها من سكان تلك
 القفار قوة ولا تسموا اليها منهم قدرة لكن قوة اليقين او تحكم الجهل
 دفع على الصفوف الانكليزية جماعة من عراة العرب وحفاتهم فهدموا
 قلاعها ونقضوا بنيانها وقوضوا ابراجها وبعد تدافع وتضام وتقدم
 وتأخر في موقعتين عظيمتين كرا الانكليز الى سواكن « ساحل البحر »
 واخلاو ساحات القتال وثقهقر العرب الى الجبال وعج الانكليز غلبنا وانتقمنا .
 ماذا اثرت هذه الغلبة العجيبة في نفوس السودانيين ثبتت اقدامهم
 وقوت جاشهم وجمعت كلمتهم وذهبت بما كان يخامر قلوبهم من الهية
 والرعب فجمعوا قواهم واستعدوا للقتال مرة ثالثة فحرموا السوء البخت
 او حسن الحظ من ملاقات خصومهم لان شدة الحر كانت من اعدائهم
 او نصرائهم حيث الجأت المساكر الانكليزية للجلاء عن تلك الديار
 فاسرعت الى البحر لا يستقر لها قدم الا في مصر او انكلترا
 وما اثارته هذه الغلبة في قلوب السودانيين من نائرة التهور
 دعاهم لتضييق الحصر على خرطوم لما علموا ان ليس في قدرتهم ان
 يفتقروا اثر الانكليز في البحر ولا يستطيعون الايغال في طلبهم وهم على
 غوارب الموج ولما اشتد الضيق بمن في خرطوم نهض الجنرال كوردون
 بشجاعة الابطال لرفع الحصار فلم تكن الا كرة تبددت فيها جيوشه

واعقبها فرة الى داخل المدينة لينتظر ما ياتي به القضاء

ولكن ليستر وجه الهزيمة رمى ضابطين عظيمين من ضباط
المصريين بالخيانة وامر ان يضربا بالرصاص فضربا وماتا وشما حسن باشا
وسعيد باشا « في اخبار التلغرافات » اما هذا الغلب في السواحل على
هذه الصورة البديعة وما حل بكوردون فقد اسقط من شان انكنازا
وقوتها في اقطار السودان عموماً وجعل كلمتها هي السفلى وبعث
السودانيين على الاعتقاد بانه احدى كرامات محمد احمد لا حول ولا
قوة الا بالله

خطاب يعقب خطاباً وكرب يتحدث كرباً هذه الصدمات المتتالية
كشفت بعض الستار وشف بها الحجاب وحدثت هزة في قلوب
الهنديين فكشروا النوايا والرجاوات عن انبيهم ومدوا سواعدهم ينظرون
الى م تطول ويراجع كل واحد نفسه ويمنيها بقرب الخلاص من ضيق
الاستعباد ويلمح القرص من خلال هذه الحوادث . انتشرت اخبار
المصائب التي حلت بالجيش الانكليزية من مصيبة هكس الى ما بعدها
في جميع ارجاء الهند وترى الناس زرافات وفرادى يتناجون في هذه
المسئلة ويرجعون على انفسهم باللائمة فيما فرطوا من قبل وهم على ربة
الامل يستطلعون سوانح القرص خصوصاً المسلمين فيهم كما انبأنا به
الرسائل الواردة اليها من اقطار مختلفة من البلاد الهندية . ونظن ان
الدولة الانكليزية وعماد قوتها الايام والتفرير يصعب عليها بعد الان ان

تعيد منزلتها الاولى في نفوس الشرقيين خصوصاً اذا افضت حوادث
خرطوم الى قتل كوردون او اسره وافتتاح تلك المدينة وهي عاصمة السودان
يزيد الطين بلة ان يشتد العثمانيون وياخذوا بالحزم وقوة العزم في
صيانة حقوقهم باي وسيلة كانت وربما نراه واقعاً فان العقلاء منهم
لا يغفلون عن حاجة الانكليز لمسلمتهم لان الانكليز يحكمون على خمسين
مليوناً من المسلمين جميعهم يعترفون بحقوق السلطان ويحييون داعيه اذا
دعاهم له اطوع من الترك انفسهم والحذاق من العثمانيين وان كانوا
يرون ان انكلترا لاتعامل الدولة إلا بالتهديد والارهاب وجملة هذا
طريقاً لئيل اغراضها منها إلا انهم يعلمون ان من المحال على انكلترا ان
تشهر على الدولة حرباً فان سياسي بريطانيا وهم اشد الناس خبرة بدقائق
الامور فضلاً عن جلائلها لا يخفي عليهم ما تكنه قلوب الهنديين من
محبة صاحب السلطة الاسلامية بل هم على يقين بانهم لو جهروا بالحرب
للعثمانيين لتقوضت سلطتهم في الهند لاول وهلة لا على المسلمين خاصة
ولكن يتبعهم الوثنيون وهذا ظاهر عند كل انكليزي وان خفي على بعض
العثمانيين ورام ستره عن باقيهم

الاعتقاد بمحمد احمد اخذ سبيلاً في قلوب الهنديين حتى كتب
اليانا احد اصدقائنا في لاهور ان محمد احمد لو كان دجالاً لاجبت علينا
الضرورة ان نعتقه مهدياً وان لانفرط في شيء مما يؤيده

بعد هذا كيف يمكن للانكليز دفع غائلة محمد احمد حر السودان

منع وسينع من جولان العساكر فيه وطلب العساكر من كوركو وسيك
بعد شيوع هذه الدعوى في الهند مما لا تجوزه الحكمة ولا نظن ان
انكلترا اثير حرباً صليبية بحكومة الحبش على مساحي السودان لانه يفسد
عليها امر الهند ويخالف احكام المدنية الحاضرة

فما شي اخر الحيل ايكثفي بحفظ القنال مع ترك الفتنة يسري
لهيها الى مصر العليا بل الى السفلى اني اخشى كما يخشى العقلاء من
شيوع هذه الدعوى و كثرة المعتقدين بها ان يلم منها ضرر بدولة انكلترا
وبكل من له حق في مصر فعلى الانكليز كما نصحن مراراً ان يرضونوا
بلادهم ويحفظوا طريق الهند بتفويض الامر للعثمانيين واولي العزم من
المصريين قبل فوات الوقت والى الله ترجع الامور



ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

او القى السمع وهو شهيد

خلق الله الانسان عالماً صناعياً ويسر له سبيل العمل لنفسه وهداه
للابداع والاختراع وقدر له الرزق من صنع يديه بل جعله ركن وجوده
ودعامة بقائه فهو على جميع احواله من ضيق وسعة وخشونة ورفاهة
وتبد وحضارة صنعة اعماله اقواته من معالجة الارض بالزراعة او قيامه
على الماشية وسرايله وما يقيه الحر والبرد والوجى من عمل يديه نسجاً او خصفاً

منع وسينع من جولان العساكر فيه وطلب العساكر من كوركو وسيك
بعد شيوع هذه الدعوى في الهند مما لا تجوزه الحكمة ولا نظن ان
انكلترا اثير حرباً صليبية بحكومة الحبش على مسلمي السودان لانه يفسد
عليها امر الهند ويخالف احكام المدنية الحاضرة

فما هي اخر الحيل ايكثفي بحفظ القنال مع ترك الفتنة يسري
لهيها الى مصر العليا بل الى السفلى اني اخشى كما يخشى العقلاء من
شيوع هذه الدعوى وكثرة المعتقدين بها ان يلم منها ضرر بدولة انكلترا
وبكل من له حق في مصر فعلى الانكليز كما نصحن مراراً ان يرضونوا
بلادهم ويحفظوا طريق الهند بتفويض الامر للعثمانيين واولي العزم من
المصريين قبل فوات الوقت والى الله ترجع الامور



ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

او القى السمع وهو شهيد

خلق الله الانسان عالماً صناعياً ويسر له سبيل العمل لنفسه وهداه
للابداع والاختراع وقدر له الرزق من صنع يديه بل جعله ركن وجوده
ودعامة بقائه فهو على جميع احواله من ضيق وسعة وخشونة ورفاهة
وتبد وحضارة صنعة اعماله اقواته من معالجة الارض بالزراعة او قيامه
على الماشية وسرايله وما يقيه الحر والبرد والوجى من عمل يديه نسجاً او خصفاً

واكناؤه ومساكنه ليست الا مظاهره وتقديره وتفكيره وجميع ما يتفنن فيه من دواعي ترفه ونعيمه انما هي صور اعماله ومجالي افكاره ولو انفض يديه من العمل لنفسه ساعة من الزمان وبسط اكفه للطبيعة ليستجديها نفساً من حياة لشحت به عليه بل دفعته الى هاوية العدم وهو في صنعه وابداعه محتاج الى استاذ يتقفه وهاد يرشده فكما يعمل لتوفير لوازم معيشته وحاجات حياته يعمل ليعلم كيف يعمل وليقتدر على ان يعمل فصنعتة ايضاً من صنعه فهو في جميع شؤنه الحيوية عالم صناعي كانه منفصل عن الطبيعة بعيد من آثارها حاجته اليها كحاجة العامل لالة العمل . هذا الانسان في ما كله ومشربه وملبسه ومسكنه

دعه في هذه الحالة وخذ طريقاً من النظر الى احواله النفسية من الادراك والتعقل والاخلاق والمملكات والانفعالات الروحية تجده فيها ايضاً عالماً صناعياً . شجاعته وجبنه جزعه وصبره كرمه وبخله شهامته ونذالته قسوته ولينه عفته وشره وما يشابهها من الكمالات والنقائص جميعها تابع لما يصادفه في تربيته الاولى وما يودع في نفسه من احوال الدين نشا فيهم وتربى بينهم مراعي افكاره ومناهج تفعله ومذاهب ميله ومطامح رغباته ونزوعه الى الاسرار الالهية او ركونه الى البحث في الخواص الطبيعية وعنايته باكتشاف الحقيقة في كل شيء او وقوفه عند بادي الراي فيه وكل ما يرتبط بالحركات الفكرية انما هي ودائع اختزنها لديه الاباء والامهات والاقوام والعشائر والمخاطون . اما هواء المولد

والمرئى ونوع المزاج وشكل الدماغ وتركيب البدن وسائر النواشي الطبيعية فلا اثر لفي الاعراض النفسية والصفات الروحانية الا ما يكون في الاستعداد والقابلية على ضعف في ذلك الاثر فان التربية وما ينطبع في النفس من احوال المعاشرين وفكار المثقفين تذهب به كان لم يكن اودع في الطبع نعم ان افكاراً تتجدد ومعقولات عن اخرى لتولد وصفات اسمو وهما تعلو حتى يفوق اللاحقون فيها السابقين ويظن ان هذا من تصرف الطبيعة لا من اثار الاكتساب ولكن الحق فيه انه ثمره ما غرس ونتيجة ما كسب فهو مصنوع يتبع مصنوعاً فالانسان في عقله وصفات روحه عالم صناعي

هذا مما لا يرتاب فيه العقلاء والسذج ولكن هل تذكرت مع هذا ان الاعمال البدنية انما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية وان الروح هي السلطان القاهر على البدن اظنك لا تحتاج فيه الى تذكير لانه مما لا يغرب عن الاذهان انما قبل الدخول في موضوعنا اقول كلمة حق في الدين ولا اظن منكراً يجحدها : ان الدين وضع الهى ومعلمه والداعي اليه البشر لتلقاه العقول عن المبشرين المنذرين فهو مكسوب لمن لم يخلصهم الله بالوحي ومنقول عنهم بالبلاغ والدراسة والتعليم والتلقين وهو عند جميع الامم اول ما يمتزج بالقلوب ويرسخ في الافئدة وتصنع النفوس بعقائده وما يتبعها من الملكات والعادات وتُمرن الابدان على ما ينشأ عنه من الاعمال عظيمها وحقيقتها فله السلطة الاولى على الافكار

وما يطاوعها من العزائم والارادات فهو سلطان الروح ومرشدها الى ما تدبر به بدنها وكأنا الانسان في نشأته لوح صقيل واول ما يخط فيه رسم الدين ثم ينبعث الى سائر الاعمال بدعوته وأرشاده . وما يطرأ على النفوس من غيره فانما هو نادر شاذ حتى لو خرج ما رق عن دينه لم يستطع الخروج عما احده فيه من الصفات بل تبقى طبعته فيه كآثر الجرح في البشرة بعد الاندمال

وبعد هذا فموضوع بحثنا الان الملة المسيحية والملة الاسلامية وهو بحث طويل الذيل وانما نأتي فيه على اجمال ينبثك عن تفصيل . ان الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة في كل شئ وجاءت برفع القصاص واطراح الملك والسلطة ونبتذ الدنيا وبهرجها ووعظت بوجوب الخضوع لكل سلطان يحكم المتدينين بها وترك اموال السلاطين للسلاطين والابتعاد عن المنازعات الشخصية والجنسية بل والدينية ومن وصايا الانجيل : من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر . ومن اخباره ان الملوك انما ولايتهم على الاجساد وهي فانية والولاية الحقيقية الباقية على الارواح وهي لله وحده . فمن يقف على مباني هذه الديانة ويلاحظ ما قلنا من ان الدين صاحب الشوكة العظمى على الافكار مع ملاحظة ان لكل خيال اثرا في الارادة يتبعه حركة في البدن على حسبه يعجب كل العجب من اطوار الاخذين بهذا الدين السلمي المتنسبين في عقائدهم اليه فانهم يتسابقون في المفاخرة والمباهاة بزيينة

هذه الحياة ورفه العيش فيها ولا يقفون عند حد في استيفاء لذاتها
ويسارعون الى افتتاح الممالك والتغلب على الاقطار الشاسعة ويخترعون
كل يوم فناً جديداً من فنون الحرب ويدعون في اختراع الآلات
الحربية القاتلة ويستعملها بعضهم في بعض ويصلون بها على غيرهم
ويبالغون في ترتيب الجيوش وتدير سوقها في ميادين القتال ويصرفون
عقولهم في احكام نظامها حتى وصلوا غاية صار بها الفن العسكري من
اوسع الفنون واصعبها وان اصول دينهم صارفة لعقولهم عن العناية
بمحفظ املاكهم فضلاً عن الالتفات الى طلب غيرها .

الديانة الاسلامية وضع اساسها على طلب الغلب والشوكة
والافتتاح والعزة ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبت كل
سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ احكامها فالناظر في
اصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكماً لا ريب
فيه بان المعتقدين بها لا بد ان يكونوا اول ملة حربية في العالم وان
يسبقوا جميع الملل الى اختراع الآلات القاتلة واتقان العلوم العسكرية
والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الانتقال
والهندسة وغيرها ومن تأمل في آية « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة »
ايقن ان من صبح بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلبة وطلب كل وسيلة الى
ما يسهل له سبيلها والسعي اليها بقدر الطاقة البشرية فضلاً عن
الاعتصام بالمنفعة والامتناع من تغلب غيره عليه . ومن لاحظ ان الشرع

الاسلامي حرم المراهنة الا في السباق والرماية انكشف مقدار رغبة
 الشارع في معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها ولكن مع كل ذلك
 تاخذ الدهشة من احوال المتمسكين بهذا الدين لهذه الاوقات اذ يراهم
 يتهاونون بالقوة ويتساهلون في طلب لوازمها وليست لهم عناية بالبراءة
 في فنون القتال ولا في اختراع الآلات حتى فاقتهم الامم سواهم فيما
 كان اول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك
 الفنون والآلات وسقط كثير منهم تحت سلطة مخالفهم واستكانوا لها
 ورضخوا لاحكامها ومن وازن بين الديانتين حار فكره كيف اخترع
 مدفع الكروب والمتراليوز وغيرهما بايدى ابناء الديانة الاولى قبل
 الثانية وكيف وجدت بندقية مارتين في ديار الاولين قبل وجودها
 عند الآخرين وكيف احكمت الحصون ودرعت البواخر واخذت
 مغالقة البحار بسواعد اهل السلامة والسلم دون اهل الغلبة والحرب .
 لم لا يحار الحكيم وان كان نطاسيا . لم لا يقف الخبير البصير دون
 استكناه الحقيقة . هل القرون الحالية والاحقاب الماضية لم تكن كافية
 لرسوخ الديانتين في نفوس المتمسكين بعراهما . هل نبذت كل ملة من
 الملثمين عقائد دينها ظهر يا من اجيال بعيدة . هل اقتصر النصارى
 في دينهم على الاخذ بشرعية موسى واقتفا سيرة يوشع بن نون .
 هل تخللت بعض آيات الانجيل من حيث يدري ولا يدري بين الخطب
 والمواظظ التي تلى على منابر المسلمين او التي شيء منها في امانى معلمهم

وناشري شريعتهم عند ما يتربعون في محافل دروسهم . هل تبدت
سنة الله في الملتين . هل تحول مجرى الطبيعة فيهما . هل استبدت الابدان
فيهما على الارواح او وجد للارواح دبير سوى الفكر والخيال او
انفلتت الافكار من سلطة الدين او تعاصت النفوس عن الانتقاش بنقشته
وهو اول حاكم عاينها واقوى مؤثر فيها . هل تخلف الدمل عن معلولاتها
هل تنقطع النسب بين الاسباب ومسبباتها . ماذا عساه يرشد العقول
الى كشف المسانير وحل المعميات .

اينسب هذا الى اختلاف الاجناس وكثير من ابناء الملتين
يرجعون الى اصول واحدة ويتقاربون في الانساب الدانية . اينسب
الى اختلاف الاقطار وكثير من القبيلين يتشابهون في طبائع البلدان
ويتجاورون في مواقع الامكنة . الم يصدر من المسلمين وهم في شبيبة
دينهم اعمال بهرت الابصار وادهشت الالباب . الم يكن منهم مثل فارس
والعرب والترك الذين دوخوا الممالك واستولوا على كرسي السيادة فيها
كان للمسلمين في الحروب الصليبية آلات نارية اشباه المدافع فزع لها
المسيحيون وغابوا عن معرفة اسبابها . ذكر ملكام سرجم « انكليزي »
في تاريخ فارس ان محمود القزنوي كان يجارب وثنى الهند بالمدافع
وكانت هي الاسباب في انهزامهم بين يديه سنة ٤٠٠ من الهجرة وما
كان المسيحيون لذلك العهد يعرفون شيئاً منها

فاي عون من الدهر اخذ بايدي الملة المسيحية فقدمها الى مالم يكن

في قواعد دينها واي صدمة من صدماته دفعت في صدور المسلمين
 فاخرتهم عن تعاطي الوسائل لما هو اول مفروض في دينهم . مقام للخيرة
 وموضع للعجب . ويظن ان لا بد لهذا التخالف من سبب ناعم وتفصيله
 يطول ولكن نجعل على ما شرطنا : ان الدين المسيحي انما امتد ظله
 وعمت دعوته في الممالك الاوربية من ابناء الرومانيين وهم على عقائد
 واداب وملكات وعادات ورثوها عن اديانهم السابقة وعلومهم وشرائعهم
 الاولى وجاء الدين المسيحي اليهم مسالماً لعرائدهم ومذاهب عقولهم
 وداخلهم من طرق الاقتناع ومسارقة الخواطر لا من مطارق البأس والقوة
 فكان كالطراز على مطارفهم ولم يسلبهم ماورثوه عن اسلافهم ومع هذا
 فان صحف الانجيل الداعية للسلامة والسلام لم تكن اسبق العهد مما
 يتناوله الكافة من الناس بل كانت مذكورة عند الرؤساء الروحانيين ثم
 ان الاحبار الرومانيين لما اقاموا انفسهم في منصب التشريع وسنوا
 محاربة الصليب ودعوا اليها دعوة الدين التهمت اثارها في النفوس
 بالعقائد الدينية وجرت منها مجرى الاصول ولحقها على الاثر تزعزع
 عقائد المسيحيين في اوربا وافترقوا شيعاً وذهبوا مذاهب تنازع الدين في
 سلطته وعاد ومبض ما اودعه اجدادهم في جرائم وجودهم ضراماً وتوسعوا
 في فنون كثيرة وانفسح لهم مجال الفكر فيها وكانت براعتهم في
 الفن العسكري واختراع آلات الحرب والدفاع مساوقة ابراعتهم
 في سائر الفنون

اما المسلمون فبعد ان نالوا في نشأة دينهم ما نالوا واخذوا من كل كمال حربي حظاً وضربوا في كل نغار عسكري بسهم بل تقدموا سائر الملل في فنون المقارعة وعلوم النزال والمكافح ظهر فيهم اقوام بلباس الدين وابدعوا فيه وخلطوا باصوله ما ليس منها فانتشرت بينهم قواعد الجبر وضربت في الازدهان حتى اخترقتها وامتزجت بالنفوس حتى امسكت بعنانها عن الاعمال هذا الى ما ادخله الزناقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما احدثه السوفسطائية الذين انكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدوا للنظر ولا تثبتها الحقائق وما وضعه كذبة النقل من الاحاديث ينسبونها الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها في الكتب وفيها السم القاتل لروح الغيرة وان ما يلتصق منها بالعقول يوجب ضعفا في الهمم وفتورا في العزائم وتحقق اهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصاً بعد حصول النقص في التعليم والتقصير في ارشاد الكافة الى اصول دينهم الحق ومبانيه الثابتة التي دعا اليها النبي واصحابه فلم تكن دارسة الدين على طريقها القويم الا منحصرة في دوائر مخصوصة وبين فئة معينة . لعل هذا هو العلة في وقوفهم بل الموجب لتقهقرهم وجو الذي تعاني من عنائه اليوم مانسأل الله السلامة منه .

إلا ان هذه العوارض التي غشيت الدين وصرفت قلوب المسلمين عن رعايته وان كان حجابها كثيفاً لكن بينها وبين الاعقادات

الصحيحة التي لم يجرموها بالمرة تدافع دائم وتغالب لا ينقطع والمنازعة بين الحق والباطل كالدفاع بين المرض وقوة المزاج وحيث ان الدين الحق هو اول صبغة صبغ الله بها نفوسهم ولا يزال وميض بريقه يلوح في افئدتهم بين تلك الغيوم العارضة فلا بد يوماً ان يسطع ضياؤها ويقشع سحاب الاغيان وما دام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل وامامهم الحق وهو القائم عليهم بامرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم ومغالبة المعتدين وطالب المنعة من كل سبيل لا يعين لها وجهها ولا يخصص لها طريقا فاننا لانرتاب في عودتهم الى مثل نشأتهم ونهوضهم الى مقاضاة الزمان ماسلب منهم فيتقدمون على من سواهم في فنون الملاحة والمنازلة والمصاولة حفظاً لحقوقهم وضناً بانفسهم عن الدل وملتهم عن الضياع والى الله تصير الامور

الدولة العثمانية

قالت جريدة الميوريال دبلوماسيك انه لم يؤخذ عن الباب العالي خبر الى الآن عن المنشور الذي عزم على ارساله للمصريين إلا انه محرر تام وفيه ان الدول ستدعي الى المداولة التي قطعها اطلاق المدافع على مكندرية « المؤتمر » وان يعدل الباب عن نشره إلا اذا قبلت انكثرا ان تكون مخبرتها معه في تسوية المسائل السودانية والمصرية بطريقة جديدة « لا هزلية » ولم نزدد يقيناً بما ذكرته هذه الجريدة في ان الدولة العثمانية لا تتساهل في حقوقها على مصر وانها تبذل ما في

وسمها المدافعة عنها وكانت لنا ثقة تامة بعزائم العثمانيين وانهم لابد ان يقدموا
لصون بلادهم المصرية من استبداد غيرهم فيها
ولهذا انجزم بانه لا يروق للدولة العثمانية ما ذكرته جريدة الدي تليفراف من
ان المستر كلادستون سيجبر عن قريب بحماية حكومته الاقطار المصرية وانه
سيخبر الدول في تحديد امد الحماية ولا يكون اقل من خمس سنوات وفي امله ان
الدول لا تمنعه فيما يريد الاتفاق معها عليه في هذا الشأن بل تعتبره حقاً قانونياً
اوجبه بذل الاموال الانكليزية واراقة الدماء البريطانية . وفصلت هذا الخبر
بعض الجرائد الفرنسية وبوبته وشارت الى ما اجابت به بعض الدول
فليس مما يخظر ببالنا ان الدولة العثمانية توافق على ما تطلب انكثرا لو فرضنا
ان الدول سمحت الانكليز بحمايتهم لمصر مدة محدودة او غير محدودة فان الحوادث
لا توهم وتقلبات الايام لا ثقة بها فيمكن في خمس سنوات بل في اقل منها ان
تتبدل القواعد السياسية بل ينقلب وجه السياسة انقلاباً لا يعرف والسياسيون
لهم في كل حادث علة لحو المعاهدات وتناوب الوثائق .

انكثرا في سواحل البحر الاحمر

وقع ما انبات به الجرائد الانكليزية من بضعة ايام فان الجيوش
البريطانية زحفت لملاقاة عثمان دجه بعد ان قاست اليم العذاب من
وهج الحر ولهب الشمس واصيب منها عدد وافر بالوهن والضعف حتى
عجزوا عن مداومة السير وصار بقية العسكر في زحفه وانتظموا على
اشكال مربعات تشاكل ما انتظموا عليه في الموقعة الماضية إلا انهم
لم يثاقوا مع خصمهم وافاد التقرير الانكليزي ان السبب في عدم الالتحام

وصلت العساكر الى قرية تمانيه ولم تجد عنها مدافعا فاحرقتها ورجعت الى سواكن ولا يخفى ان جميع اخبارهم قبل هذا الزحف كانت متفقة على ان عثمان يبعد عن تمانيه بتسعة اميال وان مسيرهم هذا كان للملاقاة حيث يعتصم فلم يكن هناك داع لحرق قرية تمانيه ولا الاخبار بانه لم يوجد مدافع عنها إلا ما تعود عليه الانكليز في حروبهم اذا لم يصادفوا ظفراً يحرقون ويخربون وان لم يكن من يصيبونه باعمالهم محارباً لم يهتم حتى يقولوا ظفرنا واحرقناواتلفنا . وورد الى الجرائد الفرنسية ان اتهم عثمان انما كان ليحشرهم بين شعاب الجبال ثم يغير عليهم ويفتك بهم كما فعل رئيسه (محمد احمد) بعساكر الجنرال هكس ويظهر انهم لما احسوا بهذه المكيدة ووجدوا من انفسهم ضعفاً عن مقاومة العرب في جبالهم كروا راجعين الى سواكن ومحتجين بشدة الحر سترأً للعجز وتقديماً لبارد العذر والجرائد الانكليزية في قاني واضطراب شديد ولهج اغلبها بحث حكومتها على استدعاء العساكر من سواحل البحر الاحمر متعلقة بانها وان كانت من حامية الهند ولما جلد على احتمال الحرارة الا ان اثر الحر السوداني ظهر فيها بسرعة شديدة ويخشى عليها من التلف الكلي واخرى ان يخاف على سواها من لم يفارقوا انكثروا الى الحرب السودان . ويغلب على الظن انهم شعروا بقوة محمد احمد وثبات عثمان والتهاب الحمية في قلوب المسلمين بتلك الاطراف فاستغفروهم ذلك الى اخلاء وجوههم وخوفاً من ان يحل بجيوش السودان الشرقي ما حل بعساكر الجنرال هكس

وتستروا بالشكوى من شدة الحر واحتدام نار القبط مع ان وهج الحرارة في جنوب الهند حيث كانت تحمل هذه العساكر كما ذكرته جرائدهم اشد منه في سواحل البحر الاحمر

وما قاله الجنرال كراهام والاميرال هيث ان الحركات العسكرية قد انتهت على شطوط البحر الاحمر ثبت اعتراف هذين القائدين بعجزهما عن فتح الطريق ما بين البحر الاحمر وبربر ومساعدة كوردين من هذه الطريق وبناء على ما ابدياه من اليأس صدرت الاوامر الى الجنرال كراهام باخلاء المواقع الحربية واجلاء العساكر عنها والخروج من سواكن بما يمكنه من السرعة واعقب الامر اجتماع العساكر باسرها في تلك المدينة ويقال ان فرقة منها تسافر في التاسع والعشرين من مارس الى مصر وانكلترا . وهذا الامر لا ريب يعده اشياع محمد احمد والمذعنون لدعوته فتحا الهيا وتاييدا ربانيا فيقوى اعتقاد المخلصين له ويقطع شكوك المترددين في قبول دعواه ولربما يذهب الوهم بالسذج منهم الى ان الله ايدهم بالملائكة المسومين فكشفوا عنهم عدوهم وبعد هذا تجتمع كلمة القبائل وتثبت اقدامهم في مواقف القتال ويزداد حرصهم على تعميم دعوى محمد احمد ومفالبة من لم يدعن لها ويكون هذا الظفر الغريب اقوى برهان لهم على صدق دعواهم

هذا ما ادت اليه سياسة الدولة الانكليزية التي وطئت باقدامها ارض مصر لاختفاء الفتن لم تجلب مداخلتها إلا تعالي اللهب وقوة

الضرام وبعد ماسقط في يديها وخابت في سياستها تجافت عن تسليم الامر لاربابه القادرين على تلافيه من المسلمين حتى يحصل الامن للاجانب والوطنيين وتحقق الدماء وتحفظ الاموال وعمدت الى الاستنجاد بحكومة الحبش لحرب السودان ولم ياخذها خجل في ذلك وهي تدعي انها حاملة لواء التمدن والقائمة بنصرة الانسانية وتتلوا آيات الانجيل اثناء الليل واطراف النهار ثم تستدعي حكومة خشنة غير مهيبة لحكومة الحبش لمقاتلة قوم اخرين وان كانوا ليسوا باقل منهم خشونة المتشبهك حرب بربرية تحرق فيها المدن والقرى وتسفك فيها الدماء الغزيرة ويفتك فيها بالاولاد والنساء والشيخوخة ومن لاجريمة لهم حتى يفني بعضهم بعضا ولم تبال في التماس هذه المساعدة ان تصرح للحكومة الحبشية ان الغرض منها كبح المسلمين في السودان وازعاج قوتهم لتثير بذلك حرباً دينية تذكر العالم بالحروب الصليبية . فقد جاءت الاخبار الى الجرائد الفرنسية . بان دولة انكلترا تلمس من يوحنا ملك الحبشة ان يمدّها بجيوش للدفاع عن سواحل البحر الاحمر لعجزها عن حمايتها بنفسها واطفاء ثورة المسلمين واخضاعهم وبعثت اليه قائد استطولها ليتفق معه على شروط هذه المساعدة وما يغنمه بعد القيام بها وفي جريدة الميموريال ديلوماتيك ان من جملة ماتطلبه انكلترا من الحبش فضلاً عن الانجاء الحربي ان يتخلى لها عن جزيرتين في البحر الاحمر لتحل فيها بعضاً من عساكرها وله من العوض ما يكافى

الامر ين جميعا .

يريد محبنا الصادق ان يقدم للحبش جزاء من اراضينا مكافاة له على ما يريد منه ولم يغفل عن مراعاة المراجعة التجارية حسب عادته ترغب الى الحبش ان يتنازل له عن املاك في البحر الاحمر فليعتبر المعتبرون .

خرطوم

نوشنا مراراً بما للمسلمين عموماً والمصريين خصوصاً من الانقباض عن حرب اخوانهم وارقة دماء ملتهم بمجرد اوامر تصدر اليهم من مخالفهم في الجنس والاعتقاد لا يعلمون لما عاقبة ولا يدرون من يجتني ثمرتها بل يوقنون انهم انما يقتلون اخوانهم ليورثوا ارضهم لقوم اخرين ربما كانوا اعدائهم او يكونون اعدائهم ولهذا لم ياخذنا عجب من خذلانهم لمكس في السودان الغربي ولا لباكر في السودان الشرقي ولا مما بلغنا في هذه الايام من خذلان كوردون في خرطوم ولم يختلج في صدرنا ولا في خطرات انفسنا ان انهزامهم في هذه المواقع منشاؤه الجبن والخور او الاختلال والنقص في الادب العسكرية ولكن نعلم انهم يفضلون الموت بيد اخوانهم على الظفر بهم لتكون اموالهم وديارهم غنيمة لصاحب امرهم من الاجانب . اما الجرائد الانكليزية وقواد الانكليز فهم يبالغون في جبن السواكر المصرية

واختلاها ليتطرقوا بذلك الى مافي عزم حكومتهم من طرد الجيش المصري الوطني واقامة جيش انكليزي مقامه حتى يتمكنوا بجيشهم ان ينالوا ماتطمح اليه انظارهم في المستقبل .

ومن هنا لا يستغرب عارف بحقيقة الامر ماذكره مراسل التمس في خرطوم من ان كوردون باشا عندما اشتد عليه الحصر من اشباع محمد احمد خرج بالنفي جندي من الجنود المصرية وبعض العساكر الغير المنظمة (الباشبوزق) ليفرق المحاصرين ويبعدهم عن ابواب المدينة فلم تثبت الجنود لاول الملاقاة وانحاز منهم خمسة ضباط الى قبائل العرب وعمد اثنان من امرائهم (بشوات) الى قتل من كان على المدافع منهم ليطلقها على اخوانهم التابعين لمحمد احمد ويقال ان كوردون قبض على الاميرين ووضعهما تحت المهاكمة العسكرية وآخر الامر اضطر كوردون الى الدخول وراء الحصون بعد ان تبدد جيشه وقتل منه مئتان على ما رووا ولم يقتل من الثائرين الا اربعة وغنم العرب من ذخائر جيش كوردون مقدارا وافرا مع ان المهاجمين منهم كانوا فئة قليلة لاسلح لهم الا الرماح والحراب وجيش كوردون كان النفي رجل شاكي السلاح من الطرز الاوربي الجديد

هذا يكون من المصريين لانهم تحت قيادة اجنبي يامرهم باوامر دولة اجنبية ولو كانوا في امرة امير مسلم مصري ولهم ثقة بعاقبة ظفرهم ان تكون لبلادهم وملتهم لرأبنا منهم ما راي العالم وبشهد به الكون لهم

من الشجاعة والاقدام ايام محمد علي و ابراهيم باشا

وبالجملة فقد ارجع كوردون بعد تغلب الثائرين حاميته الى مامنه
في خرطوم يوم السادس عشر من شهر مارس (الماضي) ويقول
مراسل التمس انه يمكنه التمتع في الحصون بعض ايام الا انه لم يجرأ على
الخروج مرة ثانية

الجرائد الانكليزية تحكي ما هال اهل بريطانيا من مصيبة كوردون
وتنذر بخطر عظيم يحل به وفي جريدة الدي تلغراف ان هلاك كوردون
او وقوعه في اسر محمد احمد يذهب بالاعمال الحربية التي قامت
بها العساكر الانكليزية في السودان ويجعلها هباء كأن لم تكن ويزيل
اثر تلك المواقع الدموية فتكون نسباً منسياً وقالت جريدة الستاندر
ليس من الممكن لنا ان نتأخر دقيقة واحدة عن العمل إلا اذا
اردنا ان نلقي بكوردون الى هازية الهلاك وبالسودان الى
الفوضى (نعم لا بد ان يخافوا على السودان من الفوضى كما خافوا
على مصر منها) وفي التمس لا بد لانكثرا ان تظهر عزميتها في الاحوال
الحاضرة وتأخذ في عملها بالشدة حتي يعلم ذلك منها عند الكافة من
الانكليز ومن آمالها ان الامة الانكليزية تؤيد الحكومة فيما تعزم عليه
وانه لا سبيل لانفاذ كوردون إلا نصميم الحكومة الانكليزية على ما تريد
(ولم تفصح التمس عن تلك العزيمة ماهي ولا ما تصمم عليه الحكومة ماهو
لعل كل ذلك هو هذا : لا بد ان نفعل ولا بد ان نترك ولا بد ان

نكون ولا بد ان لانكون)

قالت جريدة الثان :الفرنساوية ان هذا الخطاب الجديد احدث من القلق في انكلترا مالا مزيد عليه وعموم الناس فيها يعتقدون انه ان لم ترسل الحكومة جنوداً لانقاذ كوردون فهو هالك لاحالة وجميعهم يعلمون مقدار التبعة التي تحملها الوزارة (الانكليزية) اذا مات او اسر كوردون فانها هي التي القت به في هذه التهلكة والجرائد عموماً على اختلاف مشاربها متفقة على القول بان موت كوردون باشا يكون وصمة في شرف انكلترا لانتحوها الايام .

ان ناظر الجهادية الانكليزية يحاول سائليه من الحزب المضاد في مجلس النواب ويراوغهم في الجواب ويتعلل بان الحكومة لم تعد المجلس وعداً صريحاً بان تبين مقاصدها في السياسة المصرية ويزعم انه لا يمكن ان يفيد بتفاصيل عن احوال خرطوم لانقطاع الاخبار لكنه يعترف بهزيمة الجنرال كوردون وبما هو فيه من الشدة والضيق إلا ان اللورد نورثبورك لم يزل مصرأً على طلبه من الحكومة بيان سياستها في المسائل المصرية والسودانية بالتفصيل وقال اللورد غرانفيل في مجلس اللوردات انه لا يرى من السهل في هذه الاوقات ان تفتح الطريق بين سواكن وبربر وخطا القائلين بسهولة وافاد المجلس بالفشل الذي حل بالجنرال كوردون

اماني انكلترا في حركات محمد احمد

صرح اللورد غرانفيل في مجلس اللوردات بان المقاومة الشديدة التي لافوها من قبائل العرب ورئيسهم عثمان في سواحل البحر الاحمر لم يكن القصد منها إلا الرغبة في تمكين سلطة محمد احمد في البلاد السودانية يريد من هذا انه لم يحملهم على الثبات والترامي على الموت عدوانهم للانكليز ولا طمعهم في توسيع الفتح وانما كان الحامل هو الدفاع عن شوكت محمد احمد في السودان خاصة . وهذا من اللورد اما غفلة او تغافل عن لواحق دعوى المهذوبة بل لوزامها التي لا تنفك عنها فان القوائم بهذه الدعوى لا يقف في سيره عند غاية ولا يقنع بملك وانما يريد بسط دعوته في اقطار العالم واحياء الاوامر الالهية التي جاء بها صاحب شريعته الذي يدعي النياية عنه في تبليغها وصيانتها في نفوس الناس كافة وسواء كان صادقا في دعواه او كاذبا فان يتم له امر وان تمكن له سلطة في بقعة من بقاع الارض سودانا كان او مصرا او غيرها من البلد ان لا يتقدمه الى ما ورائها حتى يعلي كلمة دينه ويرد الى الحق من انحراف عنه ويكون له التصرف التام في قلوب المسلمين وياخذ منها مكانا عليا يشرف منه على مطامح دعواه في غيرهم من الامم وسواء يسر الله له النجاح في ذلك او بآء بضده . هذا لا كلام لنا فيه الان ولكننا نشكلم في الخصائص الطبيعية لهذه الدعوى العظيمة وبعد الوقوف على ماينسب من النظر قول اللورد غرانفيل في مجلس اللوردات ان حكومته لم يرد لها خبر يحملها على الظن باستعداد محمد احمد لقبول امارة كوردفان والاكتفا بها ولا يعلم هل قبول محمد احمد لتلك الولاية يكون حجابا بينه وبين التقدم الى سواها فقد علمت ان محمد احمد لم يقم بدعوى الملك ولا طلب حتى له في الامارة كان يرثه عن ابائه وانما قام بدعوى لانه لاطرافها الا عند حدود السطوة الاسلامية فليس يكافي قوة دعوة اسلامية الا عزم اسلامي وان يكافح هذا المدعي ويرده

الى قدره إلا رجال مسلمون يدافعون الدعوى بما يقوى على اضعافها او محوها
فان لم يرد لحكومة اللورد خبر الى الان عما ذكره فليطمئن قلبه لعدم وروده
في المستقبل ولا نظن خبراً ياتيه إلا بنقيض ما توهمه نسأل الله حسن العاقبة
بعد تحرير هذه الاحرف جاءت الاخبار مصدقة لما قلنا ففي تلغراف من
مكاتب الشمس في خرطوم ان ثلاثة دراويش جاؤا مرسلين من قبل محمد احمد
الى الجنرال كوردون وارجعوا اليه علامات الشرف التي كان بعث بها الى
مرسلهم وبلغوه ان محمد احمد يرفض لقب امير كورد فان وينصح الجنرال ان
يدخل في دين الاسلام فهو خير له

الحزم والعزم

ان ابناء الامم الغربية اذا عمدوا الى قصد لا يفترون في طلبه وعلو الهمة فيهم
تجعل لديهم كل صعب مهلاً وكل بعيد قريباً يقتحمون المخاطر لاكتساب
الشرف ويتجشمون المصاعب للوصول اليه وبلغوا من حجة المجد حداً لا يرونه
غذاء لارواحهم فقط بل عدوه من مادة النماء لابدانهم فهم يفرقون خوفاً اذا عرض
وهم لغواته خشية من هلاكهم وذهاب حياتهم لهذا ترك الرجل منهم محبوب فيافي
افريقيا ويتسكن جبال سيبريا ويخالط قبائل وشعوباً لا يعرف لهم لغة ولا يألف
لهم عادة ولا اخلاقاً ويتكبد مشاق الحر والبرد والجوع والعطش ويتنازل الموت
مع من يخالطه من تلك القبائل البعيدة عنه في جميع اوصافهم وهو في كل وقت
يقع بين انياب النية منهم ثم يخلص بما يقدر عليه من الوسائل . كل هذا يحتمله
طلباً لشرف يكسبه لذاته او ابتغاء مجد يحصله لامته

ومن هؤلاء الرجال بل من اجزمهم واجملهم صدقنا الهام البطل الشهير
المستر اوكلي احد نواب البرلمان الايرلنديين جاء الينا من اشهر على عزيمة السفر

الى عبيد وسألنا ان تقدم له ما يسهل له الوصول مع الامن نلّي حياته فاجبتنا
بتحرير رقائقهم الى من لهم اليد الطولى في مساعدته ووردت منه المكاتيب تبشرنا
بنوال مبتغاه وفي هذه الايام جاتنا تلفرفات بوصولهم ومنهم رجال من عظماء
الفرساويين الاحرار ذهبوا الى مثل مقصده وتوصلوا بمثل وسائله وهم اليوم
يتوسطون الطريق ونرجو لهم سلامة الوصول

ورجاؤنا ان يكون في هؤلاء اسوة للشرقيين لا نقعدم الاوهام الباطلة
ولا تنيمهم الاحلام الكاذبة ولقد كان لهم في اسلافهم اسوة حسنة ولكن من
الاسف نحتاج في تذكيرهم بما لهم من سابق المجد الى ذكر احوال الحاضرين من
غيرهم والله الامر من قبل ومن بعد

اسطورة

ذكروا في اساطير الاولين ان هيكلًا عظيمًا كان خارج مدينة اصطخر
وربما اوى اليه بعض سراة الليل اذا اشتدت بهم وحشة الظلام وما اوى اليه احد
الا غالته المنية فياتي طلاب اثره لقص خبره فيدخلون الهيكل فيضو النهار
فيجذبه ميتًا ثم لا يهتدون لسبب موته لسلامة بدنه من كل ما يعهد سبب الموت
واشتهر امر الهيكل بين السابلة والقطان واخذ كل قاصد حذره من المبيت به حتي
ضاعت الدنيا برجل فاختر الموت على الحياة وصعب عليه انتحار نفسه بيده فذهب
الى الهيكل لعله بصادق منيته فاذا بالقرب منه رجال نصحوه وحذروه عاقبة
الهلاك فلم يصغ اليهم وقال انما اتيت لتلك العاقبة وانفلت من نصحاء الى حيث
ينظن مهلكه فلما توسط الهيكل فاجاته اصوات مزيج هائلة كأن جمعًا عظيمًا يخاطبه
هانحن قد اتينا لاتلافك هانحن قد اتينا لازهاق روحك هانحن وصلنا لتمزيق بدنك
وصحق عظامك فصاح اليائس الا فاقدموا فقد شئت الحياة ولم يتم كلامه الا

وقد حدثت قرعة شديدة وانحل الطلسم وانشق الجدار وتناثرت منه الدراهم والدنانير وتفتحت ابواب الكنوز فاطمان الخائف ونام حتى اصبح ولما اضحى النهار وجاء الواقفون على خبره ليحملوا جنازته وجدوه فرحاً مستبشراً يسألهم بعض الاوعية لحمل ما وجدته من الذهب والفضة فاستخبروه قصته فبعد البيان علموا ان هلاك من هلك انما كان بالفزع من تلك المزعجات التي لا حقيقة لها

بريطانيا العظمى هيكل عظيم ياوي اليه المفلتون اذا اوحشت مظلمات السياسة فتدركهم المنية بمزعجات الاوهام وكم هلك بين جدرانها من لا مريّة لهم ولا ثبات لجاشهم واخشى ان يسوق اليأس اليه قوي المريّة ماقت الحياة فما يكون إلا هنيئة يصعد فيها صوت اليأس فينقض الجدار وينحل هذا الطلسم الاعظم

